

مفاهيم القرآن

(40) فإنّ الفقرة الآتية من الآية تعكس عقيدة المشركين وأنّه لولا أمره ومشئته لما كذب مشركين، لكن الفقرة الثانية تردّد عليها ببيان أنّ الشرك ظلم و قبيح، واللّه لا يأمر بهما، وبالتالي لا تتعلق مشئته بهما. والعجب أنّ تلك العقيدة السخيفة لم تُجسّدت بل بقيت عالقة في أذهان عدّة من الصحابة حتى بعد بزوغ نجم الإسلام. روى السيوطي عن عبد اللّه بن عمر: أنّّه جاء رجل إلى أبي بكر، فقال: أ رأيت الزنا بقدر؟ قال: نعم. قال: فإنّ اللّه قدّره عليّ ثمّ يعذّب بني؟! قال: نعم يا بن اللخناء، أما واللّه لو كان عندي إنسان أمرته أن يجأ أنفك، (1) وليس الخليفة الآوّل وحده ممن كان يحتج بالقدر السالب للاختيار، بل كان غيره على هذه الفكرة. روى الواقدي عن أمّ الحارث الأنصارية، وهي تحدّث عن فرار المسلمين يوم حنين، قالت: مرّ بي عمر بن الخطاب منهزماً، فقلت: ما هذا؟ فقال عمر: أمر اللّه. (2) نرى أنّ عمر يلجأ إلى أمر اللّه وقضائه، وأنّ الهزيمة كانت أمراً قطعياً لأنّه سبحانه شاءها وأرادها، دون أن ينظر إلى سائر الأسباب التي حدث بهم إلى تلك الهزيمة. لقد اتخذ الآمويون مسألة القدر أداة تبريرية لآعمالهم السيئة وكانوا ينسبون وضعهم بما فيه من شتى ضروب العيث والفساد إلى القدر، قال أبو هلال العسكري: إنّ معاوية أوّل من زعم أنّ اللّه يريد أفعال العباد كلّها. (3)

(1) تاريخ الخلفاء: 95. (2) مغازي الواقدي: 3|904. (3) الآوائل: 2|125.